الحكم العثماني في اليمن في الفترتين
(1538-1635م و1872-1918)

تأليف

أحمد محمد علي الغيلاني الشهري

ماجستير – جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

الحكم العثماني في اليمن في الفترتين

(1538-1635م و1872-1918)

اهتم هذا البحث بدراسة الحكم العثماني في اليمن في فترتين تاريخيتين . الفترة الأولي وهي منذ بداية القرن السادس عشر (1538-1635م) . أما الفترة الثانية فهي في المنتصف الثاني من القرن التاسع عشر وهي (1872-1918) .

الفترة الأولى : ((1538-1635م))

حكم العثمانيون اليمن وكان ذلك بسبب ضعف القوة المملوكية في اليمن التي سارعت بالاعتراف بالسياده العثمانية . وبدأت تلك المرحلة في عهد السلطان العثماني سليم القانوني وكان الغرض من تلك المرحلة هو احتلال اليمن وتوسيع الدولة العثمانية . وفي تلك الفترة كانت الحملة العثمانية الأولى على اليمن . وبدأت تلك الحمله في محرم 1538م وكانت بقيادة سليمان ولكنها فشلت وتعسرت مسألة بقاء السلطة العثمانية في اليمن وانسحب العثمانيون من اليمن عام 1635 م بسبب ضعف شخصية قائدها سليمان باشا .

الفترة الثانية للحكم العثماني لليمن وهي (1872-1918) وكانت بقيادة احمد مختار باشا وقد تمكن من دخول صنعاء بدون حرب عام 1872/1289 وقد قسمت هذه المرحلة الى عدة نقاط .

أولاً: فترة التوسع والبناء 1289- 1307 ه (1872-1889 م)

استمرت عشرين عاما واهتمت تلك الفترة بانشاء المشاريع الضرورية والخدمات الاساسية واهمها البريد والتلغراف والمدارس والطرق ... الخ .

ثانياً : فترة التمرد والمقاومة (1889-1904) كانت تلك الفترة منذ بداية ظهور الامام المنصور بالله محمد بن يحي حميد الدين عام 1307هـ/1889 واستطاع اليمنيون محاصرة صنعاء عاصمة الولاية العثمانية باليمن

ثالثاً : فترة حكم الامام يحي وموقف العثمانيون من الصلح الذي اقامه . حيث قام الامام يحيى بارسال منشور الى مختلف جهات اليمن يوضح فيه المطلوب من المناطق الخاضعه للحكم العثماني وكان موقف العثمانيون في اليمن أعقاب صلح الامام يحي يمر بمرحلتين الأولى عداء كبير ثم كان الصلح وكان 1329 هه -1911 م ثم بدأت المرحلة الثانية حيث كانت العلاقات وطيده وتميزت بالسلام بين الطرفين وتواجدت العلاقات في كافة المجالات

summary

Ottoman rule in Yemen in both periodsv 1538-1635 AD and 1872-1918AD)

This study is concerned with the study of Ottoman rule in Yemen in two historical periods. The initial period is from the beginning of the sixteenth century 1538-1635 AH . The second period is in the second half of the nineteenth century 1872-1918AD)

First Period: (1538-1635 AD）

The Ottomans ruled Yemen because of the weakness of the Mamluk power in Yemen, which was quick to recognize the Ottoman rule. This phase began during the reign of the Ottoman Sultan Salim and the purpose of that phase was to occupy Yemen and expand the Ottoman Empire. At that time, the first Ottoman campaign was against Yemen

The second period of the Ottoman rule of Yemen (1872-1918 AD)) was led by Ahmed Mukhtar Pasha and was able to enter Sana'a without war in 1289/1872 AD and this stage was divided into several points.

First: the period of expansion and construction 1289 - 1307 AH (1872-1889 AD) It lasted for twenty years and took care of the establishment of the necessary projects and basic services, most important mail, telegraph, schools, roads ... etc.

Second: the period of rebellion and resistance (1889-1904 AD) was the period since the beginning of the Imam al-Mansur Balih Muhammad ibn Yahya Hamid al-Din in 1307 AH / 1889 and Yemenis besieged Sanaa, the capital of the Ottoman Empire in Yemen.

Third: the period of the rule of Imam Yahya and the position of the Ottomans from the peace that he established. Where Imam Yahya sent a publication to various parts of Yemen showing the required areas under the Ottoman rule was the position of the Ottomans in Yemen following the reconciliation of Imam Yahya goes through the first two stages of great hostility and then was the peace was 1329 AH -1911 AD and then began the second phase where relations were solid and distinguished Peace between the two sides and relations existed in all fields.

المقدمة:

إن معظم فترات تاريخ اليمن مازالت تحتوي على قضايا عديدة،وأحداث كثيرة تحتاج إلى دراسة، وبحث.وسوف يتناول هذا البحث دراسةالحكم العثماني في اليمن وقد حكم العثمانيون اليمن لفترتين تاريخيين الفترة الأولي منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي[1]،1538م – 1635 موالفترة الثانية في المنتصف الثاني من القرن التاسع عشر

(1) توغل العثمانيون في أقطار العالم العربي منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي، لصد الغزوات

الميلاديوهيالفترة ما بين عام 1872م و 1918 م وهي فترة تحول هامة في التاريخ اليمني كافح فيها شعب اليمن ضد حكم العثمانيين الذي أثر وا في اليمن في جميع نواحي حياتهم المختلفة[2].

أسباب اختيار البحث

وترجع أسباب البحث إلي:

- الرغبة في دراسة فترة من فترات التحول في. تاريخ اليمن الحديث
- الميل إلى معرفة مدي تأثير العثمانيون في حكمهم في اليمن.
- تأثير الحكومات العثمانية والولاة على اليمن في تلك الفترة.
- الوقوف على معرفة فترة التوسع والبناء العثماني في اليمن.

أهداف البحث

يهدف البحث إلي:

- معرفة طريقة حكم العثمانيون اليمن في الفترتين الأولي والثانية.
- معرفة أسباب فشل الحملة العثمانية الأوليعلى اليمن.
- معرفة فترة التمرد والمقاومة اليمنية ضد العثمانيين.

- **تساؤلات البحث**
- يحاول البحث الإجابة على عدة اسئلة منها
- هل فترة حكم العثمانيين لليمن فترة هامة في التاريخ اليمني؟
- ما هي أبرز النتائج الخاصة بسيطرة العثمانيين على اليمن؟
- ما طبيعة حكم حكومات تلك الفترة؟
- ما هوموقف العثمانيين في اليمن في أعقاب الصلح مع الامام يحيي (1904 – 1918م)؟

المبحث الأول

البرتغالية، وحماية المقدسات الاسلامية في الحجاز، والتجارة العالمية في البحار العربية. وقد كان للدور العثماني تاريخه المجيد في الدفاع عن دار الاسلام منذ الحقبة البيزنطية، واستمراره حتي سقوط القسطنطينية عاصمة الدولة على أيدي السلطان محمد الفاتح عام1453م. وبالتالي كان الدور الجهادي العثماني -أي حماية دار الإسلام دار الحرب خلال النصف الأول من القرن السادس عشر- ما يبرر قبول العالم العربي سيادة العنصر العثماني التركي الذي استمر حتي العصور الحديثة، وانبثق من خلال ذلك حرص السلطة العثمانية على محل لواء حماية العالم الإسلامي والمقدسات الإسلامية من الهجمات البرتغالية فكانت اليمن وسواحلها جزءا من الخطة العثمانية لتوجهها جنوبا إلي البحر الأحمر بعد دخولهم مصر وقضاؤهم على المماليك لاكتمال الخارطة السياسية. ينظر: أمة الملك إسماعيل قاسم. الولاة العثمانيون وأبرز أعمالهم الإنشائية في فترتي الحكم العثماني الأولي والثانية لليمن 945 – 1045هـ - 1538- 1635م 1289 – 1336 هـ / 1872- 1918 م. مجلة جامعة سعود. الرياض. جامعة الملك سعود. سنة 2010 م. ص 125 .

([2]) حكم العثمانيون اليمن فترتين متباعدتين امتدت الاولى قرناً كاملاً، (945-1045هـ/1538-1635م)، وكانت الثانية بين عامي (1264-1337هـ /1848-1918م)، وبرغم الفترة الزمنية الطويلة بين خروجهم من اليمن في الفترة الأولي. وعودتهم إلى تهامة في بداية الفترة الثانية. والتي تقدر بمائتي عام هي فترة الاستقلال عن الحكم العثماني الاول، إلا أن الظروف والمصاعب التي واجهوها في اليمن خلال الفترتين تكاد تكون متشابهة، من حيث عدم الاستقرار، وطبيعة العلاقة مع الاهالي، وحتى من حيث سياسة الدولة العثمانية نحو اليمن. ينظر: فواد عبد الوهاب على الشامي. علاقة العثمانيين بالإمام يحيي في ولاية اليمن (1904 – 1918 م). رسالة دكتواره. جامعة صنعاء. كلية الآداب. سنة 2011م. ص 23.

الحكم العثماني الاول في اليمن(1538م – 1635 م)

نجد أن فتح العثمانيين لليمن قد ارتبط بفتحهم لمصر فبعد استيلاء السلطان سليم الأولعلى مصر سنة 1517 وجد العثمانيون أنفسهم مضطرين إلى اتباع الخطط المملوكية في الدفاع عن هذا البحر وكانت قضيةالدفاع عن البحر الأحمر أو بالأحرى لدفاع عن الحدود الجنوبية للممتلكات العثمانية الجديدة في البلاد العربية احدي القضايا الملحة التي واجهت العثمانيين بعد دخولهم إلى مص مباشرًا.[3]

وكانت ضعف القوة الملوكية في اليمن التي سارعت إلى الاعتراف بالسيادة العثمانية – يزيد من رغبة العثمانيين كانوا قد أدركوا بعد دخولهم مصر أهمية اليمن الاستراتيجية بالنسبة إلى نزاعهم مع البرتغاليين. ورغم هذا فقد ظلت خطوات العثمانيين لتدعيم سيطرتهم في اليمن ضعيفة مهزوزة مدة طويلة إذ لم يتمكنوا من إرسال حملة قوية لبسط سيطرتهم عل اليمن 1538 م أي بعد حوالي عشرين عامًاعن وصولهم إلى مصر.وفي خلال هذه المدة تطورت الأحداث داخل اليمن بصورة مغايرة لصالح العثمانيين أو بالأحرى في غير صالح القوة المملوكية التي كانت تمثل سيادة العثمانيين الإسمية في اليمن قبل أن يصل هؤلاء إليها. [4]

وبدأت تلك المرحلة في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني الذي أمر بتجهيز قوة ضخمة ابحرت من ميناء السويس 1538 م وكان الهدف الواضح من توجيه تلك الحملة هو القضاء على البرتغاليين الذين كانوا يعيشون فسادا في موانئ البحر الأحمر والعربي بينما كان الغرض الكامن من ورائها هو احتلال اليمن.الذي كان يمكن عن طريقه تحقيق الأغراض الدفاعية والتوسعية للدولة العثمانية حينذاك.

أولا:الحملة العثمانيةالأوليعلى اليمن

تحركت الحملة من السويس غلي جدة في 15 محرم سنة 1538م، وكان قوامها سبعين غرابا، وبها مدافع وبنادق، حيث وصلت بعد سبعة أيام بقيادة سليمان ووصلت بعد سبعة ايام ومنها سار إلى كمران ثم لي عدن. وكان تأخر إرسال حملة عثمانية كبيرة إلى اليمن حتي 1538 يرجع في الحقيقة إلى اتساع الإمبراطورية العثمانية والي انشغال العثمانيين في جهات حربية متعددة.

([3]) ظلت اليمن من سنة 1517 م. وهي السنة التي احتلت فيها الدولة العثمانية بلاد الشام ومصر وحتي سنة 1539 بعيدة عن الاستراتيجية العثمانية. وذلك لبعدها عن مركز الدولة. مما قد تتعسر معه الامدادات العسكرية والتموين اذا ما وجد ت نفسها متورطة في المنطقة في وقت مبكر. ولما تعد للأمر عدته. ثم ان انشغال العثمانيين في جبهات قتالية أخري. سواء في مصر أو بلاد الشام او أوربا. فرض عليهم التروي في البد بتنفيذ خططهم في البحر الأحمر والمحيط. ولذلك بدت محاولاتهم الأولي لفرض سيطرتهم على اليمن ضعيفة. اقتصرت على بعض الامدادات العسكرية التي قدموها للماليك في اليمن. في محاولة التوالي التصدي للوجود البرتغالي. الذي كاد يصبح حقيقة ملموسة. تهدد المصالح العربية الاسلامية التجارية. وبخاصة مع الهند. ينظر: محمد عيس صالحية. التدخل العثماني في اليمن (1344- 1398هـ -1924 هـ - 1978م)، مجلة دراسات الخليج والجزية العربية. العدد 24. جامعة الكويت. سنة 1980 م. ص 91.

([4]) وكان سقوط هذا السلطان على يد المماليك قد أدي إلي انتشار الفوضي والاضطراب في اليمن لمدة طويلة. إذا لم يتمكن المماليك أو أحد أفراد أسرة السلطان عامر حينئذ اك من أن يسيطر على الأوضاع في اليمن وترتب على هذا أن قام صراع طويل بين ثلاث قوي هي الزيديون بزعامة الإمام شرف الدين. وبقايا الأسرة الطاهرية. والمماليك. وعند مجئ العثمانيين إلي اليمن سنة 1538 كان نفوذ الزيديين قد امتد إلي أغلب جهات اليمن وانحصر نفوذ المماليك –ممثليالسيادةالعثمانية–في زبيد والمناطق المحيطة بها. كما انحصر نفوذ الطاهريين في عدن. ينظر: سيد مصطفي سالم. الفتح العثماني الأول لليمن (1538 – 1635 م. ط5. دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع. سنة 1999م. ص 114.

واصلت الحملة سيرها نحو عدن، فوصلتها يوم ٧ ربيع الأول سنة ٩٤٥هـ / ٣ آب 1538م، واتبع سليمان باشا الخادم أسلوبه التقليدي – وهو أسلوب الغدر- في الاستيلاء على هذا الميناء المهم، وكان عامر بن داود قد أحسن استقبال الحملة عند وصولها إلى ميناء عدن،وفتح أمامها أبواب المدينةكي يحصل الجنود على ما يشاؤوا من طعام ومؤن بناءًعلى طلب سليمان باشا، الذي كلف سرا هؤلاء الجنود بقيادة الصوباشي فرحات بالاستيلاء على عدن عقبدخولها مباشرة، وقام الجند بأعمال السلب والنهب حتى نادى القادة العثمانيون بإيقافها قبل أنيستفحل أمرها، وفي الوقت نفسه كان عامر بن داود قد توجه إلى سفينة سليمان باشا ومعه ستة من كبار أتباعه لاستقبال سليمان باشا واظهار حفاوتهم به، فأحسنسليمان استقبالهم وخلع عليهم؛ وذلك ليشاغلهم حتى إذا علم أن جنوده تم لهم الاستيلاء على مدينة عدن، أمر بشنق عامر بن داود ومن معه على صاري سفينته وتركهم معلقين به لمدةثلاثة أيام.[5]

ثم دخل الشحر وعين نوابا من قبله عليهما،وحصن المدينة، وزودها بالمدافع، وقبل خروجه منها عين بهرام، احد سناجيفه حاكما لها وابقي تحت امرته خمسمائة جندي، اما امير الشحر، فقد احسن استقباله لوفد سليمان القانوني، وتهرب من مقابلة سليمان باشا الخادم، خوف الغدر به وقد أثر هذا الأسلوب الغادرعلى سير الحملة، اذ نفر الناس منه وبخاصة الهنود، الذين فقدوا ثقتهم بالعثمانيين، فضاعتعلى العثمانيين فرصة تكوين جبهة اسلامية، تتولي الدفاع عن المحيط الهندي والبحر الاحمر، لو احسنوا استغلال العاطفة الدينية عند الهنود وغيرهم

ثم واصل سليمان باشا سيره نحو الديو، وذلك لتنفيذ المرحلة الثانية من خطته القاضية بمحاربة البرتغاليين في الهند، فوصل إلى هناك في 4 سبتمبر سنة 1538 م – إلى موضع يسمي مظفر أباد، بعد صعوبات نجمت عن معاكسة الرياح مما اضطره لانزال قسم من جنوده بالقرب من الديو وزودهم ببعض من المدافع البعيدة المدي، وكلفهم بمساعدة الخواجا صفر، وتطويق القلعة البرتغالية سرا، بعد ان احكم الحصار عليها من ناحية البحر، وبالفعل فقد شدد الحصار البحريعلى القلعة في اكتوبر 1538م، واقلعت عائدة إلى شواطئ اليمن 1538 م. [6]

ثم وصل سليمان باشا بعد ذلك إلى المخا وراسل امير زبيد المملوكي احمد الناخوذا، يدعوه إلى الطاعة، وارسل اليه الخلع والمراسيل التي تقضي بتعيينه نائبا عن السلطنة في زبيد، وفي نفس الوقت بدأ اتباعه بتحريض بعض قادة جنود احمد الناخوذا بالتخلي عنه نظرا لضعفه.والالتحاق بخدمه الدولة العثمانية، والانضمام لجند سليمان باشا الخادم، وقد التحقالعديد منهم، وعندما ادرك احمد الناخوذا ان زبيد مأخوذة لامحالة أ اضطر لمقابلة سليمان باشا الذي

([5]) ينظر: الحملة العثمانية علي عدن (1538). مرجع سابق. ص 401

([6]) ويرجع قرار الانسحاب المفاجئ إلي وقوع خطاب برتغالي في يد سليمان باشا الخادم. بتوقع قائد منطقة جوا البرتغالي. موجها إلي قائد حصن الديوي خبرة فيه بوصول نجدات برتغالية كبيرة اليه. فخاف سليمان باشا الخادم وأصر على الانسحاب والعودة. مخالفا بذلك رغبة اصحابه. وحتي رغبة خليفة الخواجا صفر زور الكتاب ليتخلص من سليمان باشا الخادم والعثمانيين. لان سليمان الخادم. كان قد احتقر رسول سلطان كجرات الجديد محمود شاه حين استقبله في الديو. كما أنه رفض الخلع. لانه أي سليمان باشا الخادم – لا يتلقاها الامن السلطان سليمان. ومعني ذلك نكرانه لتعاون الهنود معه. وتناسي انهم طهروا الجيوب البرتغالية الصغيرة المنتشرة في الديو. وانهم نجحوا في حصر البرتغاليين في القلعة الرئيسية عند الميناء. ولما عاد سليمان باشا الخادم إلي الشحر. اشاع بأن الهنود لم يساعدوه. وانه لم يتلق منهم أي معونات. وبخاصة من مسلمي الحبشة. ونحن نري ان ادعاءات سليمان باشا الخادم الي الشحر. اشاع بأن الهنود لم يساعدوه. وانه لم يتلق منهم اى معونات. وبخاصة من مسلمي الحبشة. ونجد ان ادعاءات سليمان باشا الخادم. كانت باطلة. وانه كان يهدف من ورائها التغطية على فشله في الهند. تبريرا لسرعة عودته الي اليمن دون تحقيق شئ يذكر. التدخل العثماني في اليمن. مرجع سابق. ص 98.

قتله عند وصوله وعين احد امراء الحملة حاكما لزبيد والمناطق التهامية التي كانت تخضع للنفوذ المملوكي الذي نظم شئون الحكم في منطقته.

ونجد أن سليمان باشا بد ا بمهاجمة القوتين الضعيفين في اليمن، عامر بن داود الطاهري، من بقية سلاطين الدولة الطاهرية في عدن واحمد الناخوذا من بقية المماليك في زبيد لتأكده من سرعة هزيمتها واحتلال مناطقهما – الاستراتيجية الهامةعلى البحر الأحمر، والمحيط الهندي ومن ناحية ثانية فقد كان يظن ان ذلك سيرهب الامام شرف الدين وابنه المطهر، لانه استطاع ان يقهر ما لم يستطيعوا انهاءه كلية، غير أن سوء تصرفه مع عامر بن دواد الطاهري واحمد الناخوذا وغدره بهما كان له تأثير سلبي في نفس الامام بشكل خاص اذ رفض مقابلته عندما ارسل له، وكذلك عند اليمنيين اذ رأوا ان الوحدة ضد هذا الخصم هي خير وسيلة للحفاظعلى أموالهم وانفسهم. [7]

ونجد أن بقضاء سليمانعلى الطاهرين في عدن وعلي المماليك في زبيد يعني بداية المواجهة المباشرة بين الزيديين والعثمانيين وكانت اولي الخطوات العثمانية في هذه المرحلة هي تنظيم ممتلكاتهم في اليمن اولا ومهادنةالزيديين،وعين السلطان العثماني مصطفي النشار كأول والي عثماني في اليمن عام 1541 م واستمر حتي عام 1556وامتازت فترة ولايته بالهدوء النسبي.

وظل الود مفقود بين العمانيين واليمنيين فتعسرت مسألة بقاء السلطة العثمانية في اليمن، بالرغم من أنها كانت بإدارة مصرية غير مباشرة وسيطرت نزعة فك الارتباطعلى الحكام المليين اليمنيين وخاصة الإمامة الزيدية مما أجبر العثمانييينعلى الانسحاب من اليمن عام 1635 م.وتمتعت بعدها اليمن لمدة تقارب القرنيين باستقلالها الإداري تحت حكم الأئمة مع مواصلة الاعتراف للسلطان العثمانيعلى رأس الهرم الروحي باعتباره خليفة للمسلمين وحامي الحرمين الشريفين. [8]

ثانيا:أسباب فشل الحملة العثمانية الأوليعلى اليمن

فشل الحملة العثمانية بقيادة سليمان باشا المتوجهة إلى الهند، في تحقيق أي هدف يذكر. وذلك للأسباب الآتية:

(1) وفي مقدمتها ضعف شخصية قائدها، وسوء تدبيره للأموروتهوره في اتخاذ القرارات واعتماده على سياسة الغدر والفتك حتي بالأصحاب، وكانت هذه السياسة سببًا في فقدان ثقة الهنود به، وقد احسن البرتغاليون استغلال سياسته هذه، واشاعوا بين الهنود ان سليمان باشا الخادم لن يقابل مساعده محمود باشا الابالغدر والاساءة، ودللوا على ذلك بغدره بحاتم الحمزاوي في مصر، وولده يوسف والامير داود ابن علي، وغدره في عدن بالأمير عامر بن داود الطاهري [9].

(2)أشاع سليمان باشا الخادم عند وصوله إلى ميناء الشحر- بعد انسحابه من الهند- في ٤رجب سنة ٩٤٥هـ/ ٢٦ تشرين الثاني نوفمبر) ١٥٣٨م، أنه لم يلق أية معاونة من

([7]) ينظر: التدخل العثماني في اليمن. مرجع سابق. ص 99. 100.
([8]) ينظر: خالد أرن. صالح سعداوي. واخرون. بحوث الندوة الدولية حول اليمن في العهد العثماني. ديسمبر 2009 م. الجمهورية اليمنية. المركز الوطني للوثائق. ص 136.
([9]) ينظر: عيس بن لطف الله. روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح. رسالة دكتوراه، سنة 1973 م. ص 29.

جانب الهنود دون تحقيق أي شيء يذكر، والواقع ان غدر سليمان الخادم بالسلطان عامر بن داود في عدن، كان له أثر كبير في نفور المسلمين الهنود من الحملة العثمانية، واتضح ذلك بجلاء في امتناع الخواجة (صفر) عن مقابلة سليمان باشا الخادم في سفينته، وتفضيل أن يتم الاتصال والتعاون وكان ضعف الجبهة الهندية بينهما عن طريق الرسل. لذلك فشلت حملته إلى الهند فشلا ذريعا وكان ضعف الجبهة الهندية نفسها وتفككها من العوامل المهمة لذلك الفشل. [10]

ثالثا:أبرز النتائج الخاصة بسيطرة العثمانيين على اليمن

على الرغم من كل الاتهامات التي وجهت إلى سليمان باشا الخادم، فضلا عن الفشل الذي حاق بأعمال الحملة العثمانية في الهند

فقد نجح العثمانيون في إخضاع السواحل اليمنية للسيطرة العثمانية، من خلال إبراز بعضالأمور الخاصة بهذا الفتح، وهي كالآتي:

اولا- اقتصر الفتح على منطقة السواحل اليمنية فقط، من جيزان شمالًاإلى عدن والشحر جنوباأما جهات اليمن الداخلية فقد بقيت تحت حكم الزيدية بزعامة الإمام شرف الدين وولده مطهر.

ثانيا- لعل الجديد الذي حققه سليمان باشا في اليمن، يتمثل في انتزاع عدن من أيدي الطاهريين وإخضاعها للسيادة العثمانية أما دوره في زبيدوالمناطق التهامية، فقد اقتصر على نقل السلطة

من المماليك، أصحاب النزعات الانفصالية – على الرغم من دخولهم تحت طاعة السلطةالعثمانية- إلى أيدي موظفين عثمانيين تعينهم استانبول مباشرة.

- **ثالثا**أدت مبالغة سليمان باشا الخادم في تصوير أعماله في اليمن، إلى تشويه الحقائق أمامالمسؤولين العثمانيين في استانبول، وقد أدى هذا – بدوره- إلى تخبط السياسة العثمانية أحيانافي اليمن، ويتضح ذلك- على سبيل المثال- في أن سليمان باشا أوهم الباب العالي بأن الإمامشرف الدين قد دخل في طاعة العثمانيين ؛ لذلك كان الباب العالي يفسر أي اصطدام بينالزيديين والعثمانيين على أنه خروج على السيادة العثمانية، وبالتالي يعمد إلى استعمال العنف في قمع الثورات اليمنية، بدلامن إتباع الطرق السلمية في حل مشاكل اليمن.

- **رابعًا:**كان فشل حملة سليمان باشا في الهند بداية تغيير واضح في سياسة العثمانيين تجاه الغزوالبرتغالي، إذ بدأ العثمانيون بإتباع سياسة تتصف بأنها دفاعية أكثر منها هجومية، فعملوا علىتقوية سيطرتهم على سواحل البحر الأحمر، كما عملوا على تطهير السواحل العربية بوجه عاممن الجيوب البرتغالية.[11]

([10]) ينظر: محمد كريم إبراهيم. الحملة العثمانية على عدن سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م. أسبابها ونتائجها. جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية -قسم التاريخ مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية. المجلد 4. العدد 2. ص 406. صدرت من سليمان باشا الخادم. وجنود عدة تصرفات اكدت شكوك الهنود. اذا احتقر رسول محمود باشا. ورفض تسلم الخلع والهدايا المرسلة اليه من سلطان كجرات. كذلك ارتكب جنوده الذين نزلوا الى البر لمساعدة الخواجا صفر. اخطاء كبيرة باساءة معاملة الكجراتيين. ومعاملتهم بطريقة خشنة متعالية. كما اعملوا فيهم السلب والنهب. كذلك فقد كانت الجبهة الهندية مفككة. ولم يكن لدي الامراء الكجراتين وسلا طينهم خطة موحدة لمجابهة الخطر البرتغالي بعد عودة سليمان باشا من الهند. الذي جعل هدفه اخضاع السواحل اليمنية اولا ثم اليمن كله. وذلك لتغطية فشله في الهند. ينظر: التدخل العثماني في اليمن. مرجع سابق. ص 99.

([11]) ينظر: الحملة العثمانية على عدن سنة (945 – 1538 م) أسبابهاونتائجها. ص 406.

والواقع أنه على الرغم من أهمية إرسال حملة عثمانية كبيرة إلى الهند- في ذلك الوقت –لضرب مراكز البرتغاليين القوية هنالك، فقد كان من الضروري على العثمانيين أن يهتموا بطرد البرتغاليين من المناطق العربية الساحلية، وتكوين جبهة عربية- إسلامية في المنطقة تحتقيادتهم، وذلك قبل توجههم إلى الهند مباشرة.

وهكذا كانت أعمال سليمان باشا في اليمن- على الرغم مما شابها من أخطاء وهفوات وانتكاسات – بداية للحكم العثماني هنالك، فضلا عن كونه بداية لمرحلة جديدة من مراحل تاريخاليمن الحديث.

رابعا:تأثير الحكومات العثمانية والولاة على اليمن في تلك الفترة

لم تكن حكومات تلك الفترة تهتم بتقديم مشاريع خدمية للأهالي بما يعمل على توطيد وجذب الأهالي إلى حكمهم، وبما يخلد ذكراهم، مثل تعمير المساجد وبناء المدارس والقلاع والحصون، وتمهيد بعض الطرق الرئيسية، إلا أن اهتمامهم الأول كان ينحصر في تحقيق العدل والمحافظة على الحدود،وكان للولاة العثمانيين أعمال إنشائية كثيرة، زخرت بها عدد من المدن اليمنية أبرزها المساجد والأضرحة والطرق الممهدة لتسهيل سير القوافل، وبناء محطات استراحة للمسافرين، وبناء سبل حربيه في الطر ق العامة. والواضح من خلال ذلك أن الباشوات في اليمن كانت لهم موارد مالية ضخمة ولهذا سعوا إلى كسب سمعة حسنة بني الأهاليلتمجيد ذكراهم.

ولعل تلك المنشآت والمباني قد اندثر بعضها، أو دمرت بفعلالحروب الكثيرة والعوامل الطبيعية المختلفة، أو بردود فعل القوى السياسية المعادية التي تعاقبت على حكم اليمن بعد خروجالعثمانيين، ومحاولة طمس آثارهم ومعاملهم، وما صاحبها من حروب دائمة تركت بصمات لدى تلك الفئات اليمنية.

وبالرغم من ذلك فقد كان للعثمانيين دور بارزوواضح في نمو وتطور المدن اليمنية بشكل عام، ومدينة صنعاء بشكل خاص؛ فقد حرص العثمانيون إلى جانب تثبيت النظم الإدارية والمدنيةوالعسكريةعلى إنشاء المعامل المعمارية ومنها بناء الحصون والقلاع، وتمهيد الطرقات والثكنات العسكرية والحمامات،وبناء المنازل ذات الطراز التركي، وتم في هذا العهد التوسع العمراني وانتشار ظاهرة بناء المنازل خارج سور صنعاء.وأضاف العثمانيون أحياء جديدة غرب المدينة مثل حي بستان السلطان، وحي النهرين، ويعرفان حبي بري الشمس وبري العزب، ويضم هذان الحيان منازل ودور الموظفين العثمانيين، وكان لتلكالدور نمط معماري متميز من حيث شكل المباني والنوافذ التي من غير عقود، وغرس الحدائق والبساتين المتميزة التي تطل عليها المفارج، وأمامها نوافري المياه،وزاد الاهتمام بحفر الآبار داخل تلك الدور لتوفير مياه الشرب وري الحدائق والبساتين، وتزويد النوافير بالمياه [12].

([12]) ينظر: الولاة العثمانيون وابرز اعمالهم. مرجع سابق. ص 126. وزاد الاهتمام بحفر الآبار داخل تلك الدور لتوفير مياه الشرب وري الحدائق والبساتين، وتزويد النوافير بالمياه ومن ضمن المشروعات العثمانية توسيع الطرقات، وترك مساحات عامة خالية في وسط الأحياء وأشهرها ساحة شرارة، وهو ما مسي مبيدان التحرير حديثا فكانت شوارع تلك الأحياء عريضة؛ مقارنة بشوارع القطاع الشرقي من صنعاء القدمية. وقد لوحظ أن الولاه العثمانيين اهتموا ببناء وترميم وتعمري المساجد في كل مدن اليمن؛ ففي صنعاء مثال كانت المساجد أكثر وأوضح المنشآت التي أقاموها، ونفذت على النمط المعماري والفني العثماني، وأكثر تلك المساجد لا زالت قائمة إلا القليل منها تهدم واندثر وكان للولاة العثمانيين آثار ومنشآت معمارية وحضارية في داخل مدينة صنعاء، وفي غير ها من المدن الرئيسية. ينظر محمد عبدالعزيز يسر. الموروث الحضاري لصنعاء القدمية، إصدار جامعة صنعاء،2004م. ص 19.

وكان للولاة العثمانيين دور عسكري في حكمهم في هذه الفترةفنجد الوالي أزدمر باشا له دور عسكري بارز في اليمن حين أنقذ الموقف العسكري للعثمانيين عندما قتل الوالي أويسباشا بالقرب من ذمار في أواخر ربيع الأخر سنة954هـ /1547م/ فعمل لحما تنظيم صفوف الجيش الذي كان هو أحد أفراده، وخاض حروبا قوية ضد المطهر بن الإمام شرف الدين حتى تم عقد اتفاق بين الطرفين، ولم يعين كوال لليمن إلا سنة 956 هـ/ 1549م تقديرا لأعماله العسكرية في صنعاء وفي الأقاليم الشمالية منها، وقد أطلق المؤرخون عليه فاتح اليمن الأول.[13]

وأنشأ هذا الوالي جامعا ومدرسة في حي باب شعوب، وبالقرب من الجامع بنى خانا للمسافرين جعله وقفا للجامع المذكور وقد هدم الخانأماالمدرسة فقد أعيد بناؤها ويطلق عليها مدرسة ابن الأمير الصنعاني.كما أنشأ جامع الزمر ويعد من الجوامع العامرة في باب شعوب، وهو ما يسمى بحي الزمر حاليا.[14]

المبحث الثاني

الحكم العثماني الثاني في اليمن 1872م و1918م

وهي فترة تحول هامة في التاريخ اليمني الحديث أحاط بها الغموض وتضاربت عنها الآراء، وان بدا اثناءها كفاح شعب اليمن ونضاله واضحا جليا ضد حكم العثمانيين الذين حاولوا أن يسيطرواعلى مقدراته، وأروا تأثيرا عميقًا في نواحي الحياة المختلفة.

بعودة القوات العثمانيةمرة أخري إلى اليمن بدأت مرحلة جديدة تميزت بالسيطرة العثمانية المباشرة على تهامة، والسيادة الاسمية على المناطق الجبلية من اليمن، وفي عام 1872 متمكنت القوات العثمانية من العودة إلى مدينة صنعاء، وقد توالى على منصب الوالي

في اليمن خلال هذه الفترة عشرة ولاة حكموا المناطق الساحلية لليمن باسم السلطان العثماني، مكتفين بحكم تهامة وعسير، وتحاشوا الدخول إلى المناطق الجبلية المجاورة لتهامة، وانشغلوا بالصراع مع القبائل الموجودة في منطقة حكمهم مثل قبائل عسير والزرانيق، وغيرهم.[15]

وكلف الباب العالي المشير أحمد مختار باشا بالتوجه إلى مدينة صنعاء بعد القضاء على التمرد الذي قام به الامير محمد بن عايض في عسير، وتمكن أحمد مختار باشا من دخول

([13]) قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي. البرق اليماني في الفتح العثماني. منشورات المدينة. ط2. سنة 1986 م. ص 105.

([14]) ينظر: محمد بن أحمد الحجري. مساجد صنعاء. عامرها وموقفها. إصدار وزارة الثقافة والسياحة صنعاء. سنة 2004 م. ص 16.

([15]) في أثناء هذه ا لفترة وصلت إلى الباب العالي وإلى المسئولين العثمانيين في اليمن رسائلمن عدد من أعيان ومشايخ المناطق اليمنية ا لمختلفة بما فيها صنعاء وتعز طلبوا فيهادخول القوات العثمانية إلى المناطق الجبلية. وإخضاعها للسيطرة المباشرة للدولة العثمانية.خاصة وأن الظروف أصبحت ملائمة، بسبب الاوضاع التي أصبحت سيئة من جراء صراع الائمة، وعدم وجود إمام قوي يوفر الامن والاستقرار للاهالي، وأدت تلك الظروف إلى تضرر الاهالي واستعدادهم لقبول السيطرة العثمانية على مناطقهم. ينظر: فواد عبد الوهاب على الشامي. علاقة العثمانيين بالإمام يحيي في ولاية اليمن (1904 – 1918م). سنة 2011. ص 25.

صنعاء بدون حرب عام 1289هـ /1872م، بعد أن استقبله عدد من رؤساء، وأعيان المدينة في منطقة حرازورافقوه في الطريق إليها، وكان القائمون في صنعاء يظنون أن أحمد مختارباشا سوف ي نظم ش ئون المدينة، ثم يعود من حيث أتى، ولكنه استفاد من أخطاء توفيقباشا، ولم يدخل المدينة، إلا بعد أن امسك بزمام الأمور العسكرية والادارية فيهاوبعد أن خضعت له مدينة صنعاء عمل على القضاء على المناوئين للسلطة العثمانية،وقد انطلق منذ البداية نحو المناطق المجاورة لمدينة صنعاء، واستطاع إخضاع معظم تلكالمناطق، وبخضوع مدينة صنعاء للنفوذ العثماني بدأت مرحلة جديدة بدخول أحمدمختار باشا مدينة صنعاء 1289هـ/ 1872م،[16] ويمكن أن نقسم هذه المرحلة إلى الآتي:

أولا:فترة التوسع والبناء 1289- 1307 هـ - 1872 – 1889م

خلال هذه الفترة التي استمرت عشرين عامًا تقريبًا، والتي بدأت بوصول أحمد مختارباشا إلى صنعاء 1289هـ/1872م استطاع العثمانيون بسط نفوذهم على معظم أنحاءاليمن آنذاك، كما تم إنجاز عدد كبير من المشاريع الضرورية، فإن أحمدمختار باشا لم يدخل المدينة، إلا بعد أن رتب أوضاع ا لجيش حولها، وداخلها، وضمنولاء العلماء، والاعيان بما فيهم الامام الهادي غالب بن محمد (1267هـ /1851م) والشيخمحسن معيض في النظام الجديد، ثم بعد ذلك بدأ بترتيب الاوضاع الادارية في المدينة صنعاء كعاصمةللولاية، وكمركز للواء صنعاء، وقد استغرق التنظيم الاداري للولاية ما يقارب ثمانية أشهراستطاع أحمد مختار باشا خلالها استيعاب أعيان المدينة بمن فيهم الامام غالب، والشيخمحسن معيض في النظام الجديد من خلال تعيينهم في وظائف إدارية مناسبة[17].

وبعد مغادرة أحمد مختار باشا توالى عدد من الولاة على حكم اليمن، واهتموا بتوسيع نفوذ الدولة العثمانية في اليمن، ومحاربة القبائل التي كانت تخرج عن الطاعة، وتعلن تمردها من حين إلى آخر، وكان عدد من الائمة قد حاولوا تزعم تلكالتمردات وتوحيد القبائل تحت زعامتهم، ومن أهمهم الامام محسن بن أحمدالشهاري (1271-1295هـ/1855-1878م)، والامام الهادي شرف الدين (أبونيب).

([16]) حسين بن عبدالله العمري. تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، دار الفكر، دمشق، ط2 سنة 2001م، ص 195.

([17]) عبدالواسع بن يحيى الواسعي، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في تاريخ اليمن، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، ط2. سنة 1991م. ص260. لم يتفرغ الوالي للتنظيم الاداري فقط. ولكنه في الوقت نفسه أهتم بتوسيع نفوذه في مختلف أنحاء اليمن. فقد أرسل قواته إلى المناطق المجاورة لمدينة صنعاء والتي كانت تشكل مصدر تهديد للعثمانيين. وكانت أول منطقة اتجهت إليها القوات العثمانية هي بني الحارث الوقعة شمال صنعاء للقضاء على زعيم التمرد فيها الـ شيخ على حسين الدفعي. وقد استخدم العثمانيون قوات كبيرة لتنفيذ هذه المهمة. بهدف إشعار القبائل الموجودة في المنطقة بقوة الدولة. وقدرتها على القضاء على كل من يقف بوجهها مهما كانت قوته. وبعد ذلك استطاع أحمد مختار باشا توسيع نفوذ الدولة بسيطرته على كوكبان. وريمه ومناطق عديدة أخرى، وأهمها إخضاع مدينة تعز وجعلها مركزاً للواء. وبسيطرته على المدينة انتهى من تشكيل الولاية الاربعة التي تكونت منها ولاية اليمن. ينظر: علاقة العثمانيين بالأمام يحي. مرجع سابق. ص 27.

(1296-1307هـ/1879-1889م) ولكنهم فشلوا في تقديمأنفسهم زعماء للمقاومةاليمنية يلتف حولهم الجميع ضد العثمانيين، ومع ذلك شكلوا خطرًا على السلطة العثمانيةيتوسع أحيانًا وينحسر أحيانًا أخرى، ورغم ذلك لم تمنع تلك الظروف العثمانيين من توسيع نفوذهم في مناطق اليمن المختلفة، وتنفيذ العديد من المشاريع الضرورية، وتوصيل العديد من الخدمات إلى عدة مناطق من الولاية ومن أهم تلك الخدمات البريد، والتلغراف، والمدارس، والطرق، وغيرها. [18]

وكان معظم تحركات القبائل ضدالسلطة العثمانية تأتي نتيجة سوء تصرف الولاة والموظفين المدنيين والعسكريين تجاه الاهالي. وعندما وصل العثمانيون إلى مدينة صنعاء، وجدوا أن الوضع الاداري والاقتصادي متردٍ جدًا، وليس هناك أي نظام كانت تلتزم به السلطة القائمة آنذاك أو خدمات تقدمها للأهالي، ونتيجة لذلك قامت السلطة العثمانية بإصلاح مختلف الجوانب الإدارية والاقتصادية، والخدمية، والقضائية، وغيرها.

ثانيا:فترة التمرد والمقاومة (1889 –1904)

يمكن تحديد بداية هذه الفترة من تاريخ ظهور الامام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين عام 1307هـ /1889م الذي أدى ظهوره إلى تجميع قوى المتمردين على لحكم العثماني تحت راية واحدة، واستطاع اليمنيون في بداية عهده محاصرة مدينة صنعاء عاصمة ولاية اليمن العثمانية، ولم يستطع المتمردون تحقيق مثل ذلك في الفترة السابقة بالرغم من ظهور عدد من الائمة الذين حاولوا تجميع قوى القبائل المتمردة تحت راية واحدة، إلا أنهم فشلوا في تحقيق إنجازات واضحة، وقد يعود ذلك إلى عدة أسباب من أهمها الظروف السياسية السيئة التي عاشها أهل اليمن قبل مجي العثمانيين، والجهود التي بذلها العثمانيون في سبيل إصلاح وتنظيم مختلف جوانب الحياة في اليمن، كما كان للمدافع الحديثة (في ذلك الوقت) التي تسلحت بها القوات العثمانية القادمة إلى اليمن دور كبير في القضاء على المناوئين للسلطة العثمانية، وعلى تمردات القبائل التي كانت تظهر من وقت إلى آخر.[19]

ويبدو أن الفترة التي عاشها الامام المنصور في مدينته صنعاء في ظّل السلطة العثمانيةساعدته على معرفة الطريقة التي يفكر بها المسئولون العثمانيون، ومعرفة الاخطاء التيكانوا يرتكبونها في حق الاهالي، وبالتالي استفاد من ذلك في مواجهته لهم من خلالاستخدام تلك الاخطاء كمبرر لتلك المواجهة، ونتيجة لذلك تمكن من جمع القبائل المتمردةحوله.

تمكن الامام من جمع قوات كافية من القبائل اليمنية للتحرك ضدالعثمانيين مستفيدًا مناستياء مشايخ وأفراد تلك القبائل من سوء معاملة الولاة والموظفين لهم،

([18]) ينظر: علاقة العثمانيين بالأمام يحي. مرجع سابق. ص 27. 28.

([19]) ينظر: أحمد. راشد، تاريخ اليمن وصنعاء، ترجمة: مديرية التطوير الثقافي، العراق، مطبعة البصرة، 1986م، ص 90. وفي تلك الاثناء كان الامام المنصور في مدينة صنعاء يتابع الاوضاع التي بدأت تتدهور، خاصة مع وصول ولاة ليس لديهم الخبرة الكافية في التعامل مع أهل اليمن، حتى أن الامام نفسه تعرض للاضطهاد. والسجن على يد الوالي مصطفى (م1879-1875/هـ1296-1292) عاصم. ينظر: أمة الملك محمد الثور. الموقف اليمني من الحكم العثماني الثاني لليمن مع تحقيق مخطوطة الدر المنثور في سيرة الامام المنصور، تأليف: على بن عبدالله الارياني. سنة 2008 م. دمشق. دار الفكر. ص 22.

وفسادهموارتكابهم المعاصي جهارًا دون مواجهة أي رادع من الدولة، فقد ساعد ذلك الامام على

إقناع الاهالي بأن إتباعه والقتال تحت رايته واجب ديني، وشرعي،عادة الحكم بالشريعةالاسلامية ورفع الظلم عنهم.

وكان معظم الولاة الذين عينتهم الدولة في ولاية اليمن خلال الفترة التي سبقت ظهور الامام المنصور لا يعملون من أجل خدمة الاهالي، ولكنهم كانوا يكرسون جهودهم لمنافعهم الشخصية بالدرجة الاولى، وخدمة الدولة العثمانية بالدرجة الثانية، وبالرغم من ذلك فإن عددًا منهم كانت سيرتهم حسنة بين أهالي اليمن، ومن هؤلاء إسماعيل حقي باشا (1296-1298هـ /1879-1881م) الذي أنجز مشاريع عديدة في اليمن، ومنأهمها تشكيل طابور الجندرمه اليمني الذي تم حله فيما بعد.[20]

وعندما بدأ الامام المنصور المواجهة المسلحة مع العثمانيين استطاع تحقيق انتصارات عديدة عليهم في السنوات الاولى من حكمه، حتى أنه وصل إلى المناطق المجاورة لمدينة صنعاء عاصمة الولاية وحاصرها، ولم يفك الحصار عن المدينة إلا قدوم أحمد فيضي باشاعلى رأس قوات كبيرة تمكن من خلالها من استعادة نفوذ الدولة في معظم المناطق التي كانت قد فقدتها لصالح الامام، ونجح في الوصول إلى المناطق التي كان يتحصن فيها أتباعه، ولكن أحمد فيضي باشا لم يستطع القضاء على الامام رغم القوات الكبيرة التي استخدمها خلال تلك الحرب وبالرغم من أن القوات ا لعثمانية بقيادة أحمد فيضى باشا حققت انتصارات كبيرة على الامام المنصور والقبائل الموالية له واستعادت مناطق عديدة، إلا أن الدولة وجدت أنه من الصعب إنهاء الحركة التي تزعمها الامام، لان القبائل المتضررة من سياسة الولاة العثمانيين في اليمن كانت بمجرد شعورها بضعف السلطة العثمانية تعود للانضواء تحت راية الامام من جديد، وبالتالي تخضع مناطق تلك القبائل لنفوذ الامام مرة أخرى، ونتيجة لذلكوجدت الدولة أنه أصبح من الضروري فتح باب التفاوض، والحوار مع الامام في محاولة لإنهاء التمرد الذي يتزعمه من خلال تكليف أحمد فيضى بالبدء في الحوار معه، وتنفيذًالذلك قام بإرسال رسالة إلى الامام يعرض فيها رغبة السلطان العثماني بدعوته إلى اسطنبوللمناقشة قضية ولاية اليمن، وعرض عليه ترك اليمن والبقاء في اسطنبول أو في أي مكانآخر يرغب بالبقاء فيه، ورفض الامام ذلك المقترح لأنه شعر بأن الهدف الاساسي هوإبعاده عن اليمن، وليس مناقشة السبل التي تؤدي إلى حل قضية التمرد والمقاومة.[21]

لم تهدأ المواجهات بين قوات الامام والقوات العثمانية، بل استمرت إلى جانب تبادلالرسائل بين الطرفين، والتي لم تحقق أي نجاح وفي عهد الوالي حسين حلمي باشا(1316-1318هـ/1898-1900م) الذي تميز بحسن الا دارة وبمحاولاته لتغيير التصرفاتالسيئة للموظفين العثمانيين، وكذلك احترامه للأهالي وفي عهده هدأت الاوضاع،وانحسرتالمواجهات مع الامام، حتى أن بعض المؤرخين اليمنيين ذكروا بأنه من أحسن الولاة الذينتولوا مقاليد السلطة في ولاية اليمن، وقد بذل جهودًا كبيرة في سبيل

([20]) ينظر: علاقة العثمانيين بالإمام يحيى. مرجع سابق. ص 40. 42.
([21]) ينظر: علاقة العثمانيين بالإمام يحي. مرجع سابق. ص 43.

إقامة عدد منالمشاريع المفيدة لسكان الولاية، وأدى ذلك إلى تحسن علاقته مع الامام، وأتيحت الفرصةبشكل أوسع لتبادل الرسائل بين الطرفين. [22]

و كان للظروف الصعبة التي تعيشها الدولة العثمانية على المستوى الدولي، والهزائم التي كانت تتعرض لها قواتها في أماكن عديدة دور في عدم قدرتها على التركيز على مشكلة اليمن، مما أتاح لموظفي الولاية وموظفي الدولة التصرف في هذه القضية بحرية، ونقل وجهة نظرهم إلى السلطان وإقناعه به، ولكن هذا لا ينفي أن هناك مشايخ وقبائل كانوا يرفضون سياسة الولاة العثمانيين في اليمن، ويعملون على مقاومتها بوسائل مختلفة خارج إطار سلطة الامام.

ثالثا:فترة حكم الامام يحيى وموقف العثمانيين في اليمن في أعقاب الصلح مع الامام يحيى (1904 – 1918 م

أعلن الامام يحيى حميد الدين دعوته في يوم الجمعة عشرين ربيع الاول 1322هـ.1904 م. [23]

واصل الإمام يحيى سياسة والده في التعامل مع القوى المحلية، وفي التعامل مع السلطة العثمانية التي استمر في مواجهتها عسكريا من جهة ومن جهة أخرى حاول أن يحصل منها على الاعتراف به زعيمًا محليًا للمناطق الزيدية الشمالية عن طريق التفاوض المباشر أو غير المباشر معها. [24]

أسرع الأمام يحيىبإرسال من تجمع عنده من المقاتلين إلى مناطق عدة، لمواجهة القوات العثمانية.أرسل مجموعات عديدة من المقاتلين إلى مختلف المناطق اليمنية.

وفي أوائل عام1906م بعد خروج الامام يحيى من مدينة صنعاء أرسل منشورًا إلى مختلف جهات ومناطق اليمن، يوضح فيه ما هو المطلوب من الذين يعيشون في المناطق الخاضعة للحكم العثماني، ونصه "بعد التسمية، أن من انتصح وعرف نفسه وألزمها الكف عن إضرار المسلمين، وعن تقريب ما بعد عن الظالمين، وأن لا يترك نصيحة، ولا يكتم عنا شيئًا مما أسر إليه العجم به أو أذاعوه أو علمه، وما علمناه مما يترقبونه أو يعزمون عليه، و يعترض طيافن و لا يدل عليهم، ولا يسعى لهم بإخافة سرًا ولا جهرًا، ولا يعاقب من أوصل واجباته إلى الامام ولا يتناوله مكروه، ولا يجعل دين الله إلا في سبيل ما أمر فلأجل التمسك بهذه الخلال من غير حدث، فليكن واثقًا منا بأنا لانواجهه بشيء يكرهه، فليعلم هذا. [25]

([22]) ينظر: تاريخ اليمن المسمي فرجة الهموم والحزن في تاريخ اليمن. مرجع سابق. ص 291.
([23]) محمد بن أحمد زباره، أئمة اليمن بالقرن الرابع للهجرة، المطبعة السلفية، القاهرة، 1386هـ. ص5.
([24]) ينظر: نبيل عبدالحي رضون: الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية، جدة. سنة 1984 م. ص 164. وضح الأمام يحيى السياسة التي ينوي السير عليها، لمواجهة القضايا التي كانت قائمة آنذاك في خطاب دعوته الذي وجهه إلى جميع اليمنيين دون تحديد، والذي بدأه بنعي والده الامام المنصور. ثم ذكر اتفاق العلماء على إلزامه بقبول القيام بأمر الامامة بعده، وبموافقته على ذلك تحت إلحاحهم، ثم وضح الالتزامات التي يجب على من بايعه الالتزام بها.
([25]) عبد الله بن محسن العزب: تاريخ اليمن الحديث (فترة خروج العثمانيين الأخير)

عمل الامام يحيى على تأكيد قدرته على إدارة البلاد منذ بداية دعوته، من خلال تعيين العمال في المناطق التي تخضع لسلطته بغض النظر عن طول أو قصر فترة بقاء تلك المنطقة خاضعة لنفوذه، وكان يقوم بنقل العامل إلى منطقة أخرى إذا خرجت المنطقة التي يعمل بها عن سيطرته، كما كان يكلف العامل إلى جانب عمله الاداري بقيادة القوات المتواجدة في المنطقة التي تحت إدارته.

أما عن موقف العثمانيين في اليمن في أعقاب الصلح مع الامام يحيى عندما وضع الامام يحيى شروطه المقترحة للصلح بينه وبين الدولة العثمانية عام 1906 ملم يتطرق إلى قضية استقلال البلاد عنها، وقد بدأ مقترحه بقوله: "وافقت مستمدًا بعون الله تعالى على شروط الصلح ما بيني وبين مأموري سلطان الاسلام الذي أدعو الله أن يؤيد ملكه □طفاء نار الحرب الموقدة، وأن تس تبدل الفوضى والعداوة بالصداقة لتسلم البلاد من القلاقل وتحقن الدماء.[26]

ومرت العلاقة بين الامام يحيى والسلطة العثمانية بمرحلتين تميزت المرحلة الاولى بالعداء الكبير، والمواجهة العسكرية الشاملة بين الطرفين.وكان العثمانيون في هذه المرحلة يطلقون على الامام (الشقي المعهود)، وبعد صلح دعان 1329هـ /1911م بد أت المرحلة

الثانية من العلاقات بين الطرفين، والتي تميزت بالسلم والتعاون في كافة المجالات، وأصبح خلالها يطلق على الامام يحيى "إمام حظرتلري" صاحب الحضرة. [27]

فنجد أن موقف الدولة العثمانية من اليمن خلال فترة 1911– 1918م - تميزت بالسلم والتعاون، بعد أن كان يسودها العداء والمواجهة في الفترة الماضية، وكان صلح دعان السبب الرئيس في التحول الذي طرأ على تلك العلاقة، ونقلها من الحالة السلبية إلى الحالة الايجابية.

رابعا:تأثير الحكوماتالعثمانيةوالولاةعلى اليمن في تلك الفترة 1872م و 1918

كان للحكم العثماني الثاني في اليمن أوضاع سياسية شتى من حيث الاستقرار أو الحرب، لكنهم حاولوا إدخال بعض مظاهر المدنية الحديثة، متمثلة في تأمين طرق مواصلاتهم واتصالاتهم، وتعبيد الطرق وإقامة القلاع الحصينة، وبناء الفنارات لحماية السواحل، ومد خطوط التلغراف والسلك، ووضع القوانين واللوائح التنظيمية الخاصة بالجمارك، وإدخال المطبعة والصحف حيث أنشئت أول مطبعة في تاريخ الجزير ة العربية الحديث في اليمن في عام 1881م وتأسيس إدارة البريد، وتشكيل المجالس المحلية والنيابية، والاهتمام بالصحة والتعليم.واتضح جليا حرص ولاة الفترة الثانية وموظفيهم أيضا على ترميم وتعمير المساجد والمدارس والأسوار. [28]

خامسا:الجوانب الايجابية والسلبية في حكم العثمانيين لليمن

تحقيق عبدالله الحبشي، منشورات المدينة، بيروت، 1986م، ص27.

([26]) ينظر: ائمة اليمن. مصدر سابق. ص 78.

([27]) كان الإمام يحيى قد حدد نوع العلاقة مع العثمانيين خلال المرحلة الاولى في رسالة دعوته التي أر سلها إلى كافة أهل اليمن، فقد دعا فيها إلى إعلان الجهاد ضاد العثمانيين. وحث أهل اليمن على المشاركة فيه، مستغلاً التصرفات السيئة التي كانت تمارسها السلطة العثمانية بمختلف تكويناتها في الولاية.

([2828]) ينظر: الأرشيف العثماني. اليمن في العهد العثماني. كتاب وثائقي. سنة 2008 م. ص 250

وكان للسياسة الحكم التي مارستها الدولة العثمانية في ولاية اليمن جانب ايجابيوجانب سلبي وذلكعلى النحو التالي:

فأما الجانب الإيجابي فقد كان واضحًا في بداية الحكم العثماني الثاني 1872م من خلال الاصلاحات التي أدخلتها الدولة على كثير من جوانب الحياة في الولاية، وقد تم تناول مظاهرها سابقًا.

وأما الجانب السلبى للحكم فمن أهم مظاهره فيما يلي:

- بدأت الدولة منذ عام 1297هـ /1879م بإهمال الشئون الادارية للولاية، ولم تعدتهتم بتوفير احتياجات الموظفين من مرتبات ولوازم إدارية وغيرها.

- كان معظم الموظفين العثمانيين الذين يتم إرسالهم للعمل في اليمن غير مؤهلين،ويفتقدون إلى الخبرة والمعرفة التي تساعدهم على القيام بالأعمال الموكلة إليهم، ولا يمتلكون معلومات كافية عن البلاد التي سوف يرسلون للعمل فيها.

- وفي الجانب العسكري كانت ولاية اليمن من الولايات المعفية من التجنيد العسكري بموجب نظام الولايات الخاص، ولذلك كان الجيش العثماني السابع المرابط في ولاية اليمن يضم جنودًا من الاهالي، إلا أن عددًا من اليمنيين استطاعوا العمل كضباط في الجيش بعد الانتهاء من دراستهم في اسطنبول وعودتهم إلى الولاية، واستطاع هؤلاء تولي مناصب عسكرية وادارية[29].

ومما سبق نجد أن الفترة التاريخية التي تناولتها الدراسة تعود أهميتها إلى أنها تميزت بوجود صراع شديد بين اليمنيين، والدولة العثمانية ممثلة بإدارة الولاية، والذي لم ينجح أي طرف في حسمه لصالحه، ولكن بعد أن تمكن الطرفان من عقد صلح دعان الذي نظم العلاقة بينهما، تحولت هذه العلاقة من الحالة العدائية إلى الحالة السلمية لأول مرة خلال فترتي الحكم العثماني الاول والثاني.

([29]) ينظر: إحسان أوغلو. وآخرون. الدولة العثمانية تاريخ وحضارة. ترجمة صالح السعداوي. مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية. اسطنبول. سنة 1999م ص 515.

الخاتمة

وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها:

- ضعف القوة الملوكية في اليمن هي التي سارعت إلى الاعتراف بالسيادة العثمانية.

- أن فشل الحملة العثمانية في اليمن كانت بسبب ضعف شخصية قائدها، وسوء تدبيره للأمور وتهوره في اتخاذ القرارات واعتمادهعلى سياسة الغدر والفتك حتي بالأصحاب.

- اقتصر الفتحالعثماني على منطقة السواحل اليمنية فقط، من جيزان شمالًا إلى عدن والشحر جنوبا أما جهات اليمن الداخلية فقد بقيت تحت حكم الزيدية بزعامة الإمام شرف الدين وولده مطهر.

- لم تكن حكومات فترة الحكم العثماني الاول لليمن تهتم بتقديم مشاريع خدمية للأهالي بما يعمل على توطيد وجذب الأهالي إلى حكمهم، وبما يخلد ذكراهم، مثل تعمير المساجد وبناء المدارس والقلاع والحصون، وتمهيد بعض الطرق الرئيسية، إلا أن اهتمامهم الأول كان ينحصر في تحقيق العدل والمحافظة على الحدود.

- بعودة القوات العثمانيةمرة أخري إلى اليمن بدأت مرحلة جديدة تميزت بالسيطرة العثمانية المباشرة على تهامة، والسيادة الاسمية على المناطق الجبلية من اليمن.

- موقف الدولة العثمانية من اليمن خلال فترة 1911– 1918م - تميزت بالسلم والتعاون، بعد أن كان يسودها العداء والمواجهة في الفترة الماضية.

مراجع البحث

(1) أمة الملك إسماعيل قاسم. الولاة العثمانيون وأبرز أعمالهم الإنشائية في فترتي الحكم العثماني الأولي والثانية لليمن 945 – 1045هـ - 1538- 1635م 1289 – 1336 هـ / 1872- 1918 م. مجلةجامعةسعود. الرياض. جامعةالملكسعود. سنة 2010 م.

(2) فواد عبد الوهاب علي الشامي. علاقة العثمانيين بالإمام يحيي في ولاية اليمن (1904 – 1918 م). رسالةدكتواره. جامعةصنعاء. كليةالآداب. سنة 2011م.

(3) محمد عيس صالحية. التدخل العثماني في اليمن (1344- 1398هـ -1924 هـ - 1978م)، مجلة دراسات الخليج والجزية العربية. العدد 24. جامعة الكويت. سنة 1980 م.

(4) سيد مصطفي سالم. الفتح العثماني الأول لليمن (1538 – 1635 م. ط5. دارالأمينللطباعةوالنشروالتوزيع. سنة 1999م.

(5) خالد أرن. صالح سعداوي. واخرون. بحوث الندوة الدولية حول اليمن في العهد العثماني. ديسمبر 2009 م. الجمهورية اليمنية. المركز الوطني للوثائق.

(6) عيسى بن لطف الله. روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح. رسالة دكتوراه، سنة 1973 م.

(7) محمد كريم إبراهيم. الحملة العثمانية على عدن سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨مأسبابها ونتائجها. جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية -قسم التاريخ مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية. المجلد 4. العدد 2.

(8) محمد عبدالعزيز يسر. الموروث الحضاري لصنعاء القدمية، إصدار جامعة صنعاء،2004م.

(9) قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي. البرق اليماني في الفتح العثماني. منشورات المدينة. ط2. سنة 1986 م.

(10) محمد بن أحمد الحجري. مساجد صنعاء. عامرها وموقفها. إصدار وزارة الثقافة والسياحة صنعاء. سنة 2004 م.

(11) حسين بن عبد الله العمري. تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، دار الفكر، دمشق، ط2 سنة 2001م.

(12) عبدالواسع بن يحيى الواسعي، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في تاريخ اليمن، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، ط2. سنة 1991م.

(13) أحمد. راشد، تاريخ اليمن وصنعاء، ترجمة: مديرية التطوير الثقافي، العراق، مطبعة البصرة، 1986م.

(14) أمة الملك محمد الثور. الموقف اليمني من الحكم العثماني الثاني لليمن مع تحقيق مخطوطة الدر المنثور في سيرة الامام المنصور، تأليف: علي بن عبد الله الارياني. سنة 2008 م. دمشق. دار الفكر.

(15) محمد بن أحمد زباره، أئمة اليمن بالقرن الرابع للهجرة، المطبعة السلفية، القاهرة، 1386هـ.

(16) نبيل عبد الحي رضون: الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية، جدة. سنة 1984 م.

(17) عبد الله بن محسن العزب: تاريخ اليمن الحديث (فترة خروج العثمانيين الأخير) تحقيق عبدالله الحبشي، منشورات المدينة، بيروت، 1986م.

(18) الأرشيف العثماني. اليمن في العهد العثماني. كتاب وثائقي. سنة 2008 م.

(19) إحسان أوغلو. وآخرون. الدولة العثمانية تاريخ وحضارة. ترجمة صالح السعداوي. مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية. اسطنبول. سنة 1999م.